

مؤتمر أصدقاء التراث العربي المسيحي السادس والعشرون
 مركز دراسات مسيحية الشرق الأوسط
 كلية اللاهوت الإنجيلية بالقاهرة
 من الخميس ٢٢ فبراير إلى السبت ٢٤ فبراير سنة ٢٠١٨ م

هل أبو صلح يونس بن نانا مترجم أوّل قوانين عربيّة هو نفسه أبو صلح الأرمني المنسوب له كتاب "كنائس وأديرة مصر"؟ أم هما شخصان؟

تمهيد

قدّمتُ في مؤتمر أصدقاء التراث العربي المسيحي الخامس والعشرين، في العام الماضي، ورقة بحثية بعنوان: "أوّل قوانين عربيّة في الكنيسة القبطيّة تُزيح الغموض عن جانب من تراث الكنيسة الليتورجي". وذكرتُ أنّ أبا صلح يونس بن عبد الله الملقّب بالسّدِيد بن نانا، هو الذي قام بترجمة هذه القوانين إلى اللّغة العربيّة. واليَوْم سوف أقدمُ موجزاً لما أمكن معرفته عن شخصيته من الوجهة التّاريخيّة، ثمّ أعرض أيضاً لما حاولت معرفته عن شخصيّة أبي صلح الأرمني المنسوب له كتاب "كنائس وأديرة مصر وبعض البلاد المجاورة المنسوب لأبي صالح الأرمني"، المعروف باسم "تاريخ الكنائس والأديرة" سعياً لمعرفة هل هما شخص واحد أم شخصان؟^(١).

١ - هذه المحاضرة هي ملخّصٌ لجزء من كتاب يحوي كافة المراجع التّفصيليّة.

أبو صلح يونس بن نانا من الوجهة التاريخية

تؤكد المصادر التي بين أيدينا، أن أبا صلح يونس بن نانا، قد عاش في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي والنصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي، وذلك طبقاً للتواريخ التي وردت في بعض المخطوطات التي تحوي هذه القوانين، وأيضاً طبقاً للدراسات التي قام بها بعض من العلماء والباحثين، أمثال: ماي Mai وكونلن J. Cöln وجورج جراف G. Graf، ولويس شيخو، إلى جانب ابن العديم كمؤرخ، وغيرهم.

ولقد دُعي أبو صلح يونس بن نانا بلقب "الأرميني"، طبقاً للعالم ماي Mai كما أن العالم كونلن J. Cöln يذكر أن السمعاني يدعوه الأرميني، ولكن بدون أي إثبات لهذا الأمر.

ويذكر الأب لويس شيخو اليسوعي عن صالح بن نانا، أنه كان وزيراً في القرن العاشر الميلادي فيقول عنه: "كان نسيباً للكاتب المسيحي كليب. لقب بالسديد، وكان وزيراً لسعد الدولة بن سيف الدولة الحمداني صاحب حلب"^(١).

ونعرف من التاريخ أيضاً، أن أبا صالح بن نانا، الملقب بالسديد، كان كاتباً للأمير أبي المعالي شريف بن سيف الدولة بحلب، وكان

٢- لويس شيخو، وزراء النصرانية وكتابها في الإسلام ٦٢٢-١٥١٧، التراث العربي المسيحي ١١، حققه وزاد عليه وقدم له الأب كميل حشيمه اليسوعي، لبنان ١٩٨٧م، ص ١٧٨ وكليب المذكور في المتن، كان كاتباً نصرانياً خدم رقتاش المملوك حاكم برزويه وصهيون (أي قلعة صهيون قرب الساحل السوري).

انظر: لويس شيخو، مرجع سابق، ص ٢١٢

هل أبو صلح يونس بن نانا هو نفسه أبو صلح الأرمني

يتولَّى أمر مملكته بعد موت أبيه، ويحل محلَّه في الوزارة، ثمَّ إنه انفصل عن أبي المعالي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة في شهر رمضان (فبراير/مارس سنة ٩٨٢م) بأولاده وأسبابه، وتوجَّه إلى بغداد. واسمه يونس بن عبد الله بن نانا^(٣). هذه هي كلُّ المعطيات التي أمكن الحصول عليها عن شخصيَّة أبي صلح يونس بن نانا، والزَّمن الذي عاش فيه.

أبو صلح الأرمني المنسوب له كتاب "كنائس وأديرة مصر ... إلخ"

هذا الكتاب مصدره مخطوطان، هما مخطوط رقم (عربي ٢٥٧٠) بمكتبة ميونخ، وتاريخه ١١٩١م، والثاني منهما هو مخطوط رقم (عربي ٣٠٧) بالمكتبة الأهليَّة بباريس، وتاريخه هو سنة ١٣٣٨م، أي أوائل القرن الرَّابع عشر الميلادي. وهذان المخطوطان بحسب تحقيق العالم المصري توفيق إسكاروس (١٨٧٤-١٩٤٢م)، يكملان معاً عملاً واحداً.

ولقد نشأت المشكلة من مخطوط باريس، ذلك لأنَّ هذا المخطوط الذي يعود نصه الأصلي إلى مخطوط يعود إلى القرنين ١٢-١٣ للميلاد، لم يكن له عنوان، ولا اسم مؤلِّف. كما أنَّ مخطوط باريس الذي يعود إلى القرن الرَّابع عشر الميلادي، والذي نقل عن هذا المخطوط الأصلي، لم يكن له عنوان، ولا اسم مؤلِّف. وأمَّا العنوان الذي وُجد به وهو: "تاريخ الشَّيخ أبي صلح الأرمني تُذكر فيه أخبار من نواحي مصر وإقطاعها"،

٣- انظر: ابن العديم، الصاحب كمال الدِّين عُمر بن أحمد بن أبي جرادة، بغيَّة الطَّلَب في تاريخ حلب، الجزء الأوَّل، حقَّقه وقدم له الدُّكتور سهيل زكا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان ١٩٨٨م، ص ٤٤٨٦-٤٤٨٧
وابن العديم عُمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة (١١٩٢-١٢٦٢م)، هو من أشهر مؤرِّخي القرن السَّابع الهجري (الثاني عشر/ الثالث عشر الميلادي). وهو غير ابن التَّسَم الذي توفي سنة ١٠٤٧م.

محاضرات في ليتورجية كنيسة الإسكندرية ٣

فهو بخط حديث، ولا ينتمي لزمن نساخة المخطوط!!

ولقد نُشر هذا المخطوط باللُّغة العربيَّة في مدينة أكسفورد سنة ١٨٩٤ المسيحيَّة، يحمل نفس العنوان السَّابق ذكره. ثمَّ قام العالم الإنجليزي إيفيتس Evetts بترجمة مخطوط باريس إلى الإنجليزيَّة ونَشَرَه في أكسفورد سنة ١٨٩٥م، وأعطاه عنواناً من عنديَّاته هو: ”كنائس وأديرة مصر وبعض البلاد المجاورة المنسوب لأبي صالح الأرمني“، ويرر إيفيتس Evetts وضعه لهذا العنوان، بقوله إنه قد نقله عن كتالوج مخطوطات المكتبة الأهلِيَّة بباريس^(٤)، برغم أنَّ الكتالوج يذكر عنواناً هو: ”تاريخ أديرة مصر“. كما يذكر إيفيتس Evetts أيضاً في مقدِّمة كتابه بالإنجليزيَّة والسَّابق ذكره - نقلاً عن الكتالوج المذكور - أنه عمل غير مكتمل، وليست به آيَّة إشارة إلى عنوان الكتاب أو اسم المؤلِّف. لأنَّ العنوان قد وُضع لهذا المخطوط في عصر لاحق. وهكذا انتشر اسم أبي صالح الأرمني انتشاراً واسعاً في الأوساط العلميَّة، مقترناً بالكتاب المذكور.

وفي نفس الوقت الذي نُشر فيه الكتاب بالإنجليزيَّة في أكسفورد منسوباً إلى أبي صالح الأرمني، ظهر كتاب ”الخطط التوفيقيَّة الجديدة“ لعلي باشا مبارك (١٨٢٣-١٨٩٣م)، الذي أشار في الجزء السَّادس منه (٧١:٦-٨١)، إلى المؤتمن أبي المكارم سعد الله بن جرجس^(٥)، في مجموع له، بيَّن فيه كنائس القاهرة، والجهات البحريَّة في أواخر الجيل الثَّاني عشر للمسيح. ولقد

4. Cf. M. Le Baron de Slane, *Bibliothèque Nationale, Département des Manuscrits, Catalogue des Manuscrits Arabes*, Paris 1883-1895, p. 84.

٥- عاش أبو المكارم في القرن السَّادس الهجري/ الثَّاني عشر الميلادي.

هل أبو صلح يونس بن نانا هو نفسه أبو صلح الأرمني

عقب الدكتور أيمن فؤاد سيّد على ذلك بقوله^(٦): ”إنّ نسخة خطيّة مؤرّخة في سنة ١١٩١م، كانت في ملك أحد أقباط طنطا (وهو الأستاذ جرجس فيلوثاؤس عوض ١٨٦٧-١٩٥٤م) اطلع عليها على مبارك الذي استفاد منها كثيراً (وهو يقصد مخطوط ميونخ السّابق ذكره، قبل أن يخرج من مصر)“. وهو نفس ما أعلنه العالم المصري توفيق إسكاروس (١٨٧٤-١٩٤٢م) سنة ١٩٢٦م، في المؤتمر الدّولي للجغرافيا في القاهرة.

وهو نفس ما نشره الرّاهب صموئيل السّرياني سنة ١٩٨٤م، تحت عنوان: ”تاريخ الكنائس والأديرة في القرن الثّاني عشر الميلادي لأبي المكارم المنسوب خطأ إلى أبي صلح الأرمني“. ثمّ توالى الدّراسات عن هذا الكتاب، لكي يُثبت كل من الأب أوجو زانتي Ugo Zanetti والعالم جوهانس دين هاير Johannes Den Heijer كل منهما على حدة، أنه على غرار كتاب ”تاريخ البطارقة“، لا يمكن أن يكون لهذا العمل مؤلّف واحد، كما كان الاعتقاد سائداً من قبل. فهذا الكتاب هو لعدّة مؤلّفين، خلال الفترة (١١٦٠-١٣٤٩م)، وكلّهم مجهولون لدينا باستثناء أبي المكارم.

وبالبحث المدقّق في تاريخ الشّخصيّات التي عاشت خلال القرون من العاشر إلى الثّالث عشر الميلادي، لم أعرّض على واحد باسم أبي صلح الأرمني في كثير من المراجع التي رجعت إليها، باستثناء اسم أبي صلح يونس بن نانا، وأيضاً اسم أبي صلح الأرمني مرتبطاً بكتاب ”كنائس وأديرة مصر... إلخ“، برغم أنّ ما يرد في مخطوط (عربي ٣٠٧) بالمكتبة

٦- انظر: جومار، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل، نقله عن الفرنسيّة وقدم له وعلّق عليه، أيمن فؤاد سيّد، دكتور دولة في الآداب من السّوربون، القاهرة، الطّبعة الأولى ١٩٨٨م،

الأهليّة بباريس، يشير بالتّحديد إلى الزّمن الذي تمّ فيه جمع مادة هذا الكتاب، وهو أواخر القرن الثّاني عشر وأوائل الثّالث عشر للميلاد. فهل أبو صلح يونس بن نانا، هو نفسه أبو صالح الأرمني؟!

والرأي عندي، أنّهما شخصٌ واحد، هو أبو صلح يونس بن نانا، مترجم أوّل قوانين عربيّة في الكنيسة القبطيّة، ولكنّه ليس هو مؤلّف كتاب ”كنائس وأديرة مصر ... إلخ“.